الفصل الثالث

علاقة الخديو عباس الثانى بمصطفى كامل

---

١ ــ نشأة مصطفى كامل ومصادر ثقافته ٠

٢ ــ ظهور مصطفى كامل ومساعدات الخديو المــالية له ٠

٣ ــ الخطوط الرئيسية لسياسة مصطفى كامل تجاه الاحتلال ٠

٤ ــ أهداف مصطفى كامل والخديو من مقاومة الاحتلال ٠

٥ ــ نشاط مصطفى كامل فى أوربا وعلاقته بجوليت آدم ٠

obeikan.com

١ ــ نشأة مصطفى كامل ومصادر ثقافته :

ولد مصطفى كامل بحارة درب الميضة بشارع شيخون بالصليبة بحى الخليفة بمدينة القــاهرة فى ١٤ أغسطس ١٨٧٤ [١] أى فى نفس السنة التى ولد فيها الخديو عباس الثانى وينتمى والده على محمد الى أسرة ميسورة الحال اشتغلت بالتجارة منذ زمن طويل فى مديرية الغربية، وقد تلقى علومه العسكرية بطرة وبالخانكة وتخــرج ضابطا مهندسا ، وعمل فى بناء الكبارى والثكنات فى عهد محمد على ثم أدرك عهدى عباس الأول وسعيد ثم أحيل الى الاستيداع فى عهد اسماعيل ولكنه لم يركن الى الراحة بل سعى حتى عين مهندسا ملكيا بوزارة الأشغال وظل بهــا حتى أحيل الى المعاش فى سنة ١٨٧٧ [٢] .

وقد كان مصطفى كامل أحد سبعة أبناء وابنتين أنجبهم أبوه من زوجتين كانت الأخيرة منهما هى السيدة حفيظة هانم كريمة اليوزباشى محمد فهمى وهى والدة مصطفى كامل والتى كان لها أثر كبير فى تنشأته، فقد كانت على جانب كبير من مكارم الأخلاق ، وكان مصطفى كامل يعزها ويجلها ويشيد بذكرها طوال حياته ، وقد انطبعت فيه أخلاقها من صفاء النفس وحب الخير والصبر والجلد [٣] .

وكان من عادة والد مصطفى كامل أنه اذا بلغ أحــد أولاده سن

---

(١) متحف التعليم : البعثات العلمية فى القرن التاسع عشر ج ٢ ، ص ٢٤١ .

(٢) د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ج ٥ ، مصطفى كامل صاحب اللواء . القاهرة ــ دار الفكر العربى ــ الطبعــة الأولى ، ص ٤١ .

(٣) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٢١ .

الخامسة أرسله الى فقيه يلمنه مبـــادىء القراءة والكتابة ثم يبعثه الى الكتاب ليحفظ القرآن حتى يتم السادسة فيلحقه بمدرسة حكومية ، وقد بدت على مصطفى كامل ملامح الذكاء والنجابة ، وقوة الذاكرة فى طفولته، وكان كثير الاهتمام بما يحدثه والده من القصص المستقاة من تاريخ مصر فكان يعيها ويجادل فيها ويناقشها مع اخوته ويدافع عن وجهـــة نظره بثقة وقوة •

وقد أتم مصطفى كامل حفظ القرآن الكريم وهو فى السابعة من عمره وتلقى دراسته الأولى فى ثلاث مدارس هى مدرسة والدة عباس الأول ومدرسة السيدة زينب التابعة للأوقاف ومدرسة القريبة التى نال منها مصطفى كامل الشهادة الابتدائية عام ١٨٨٧ وكان يومئذ فى الثالثة عشرة من عمره •

وكانت طفولة مصطفى كامل مليئة بالأحداث فقد عاش عزل الخديو اسماعيل وثورة عرابى ومذبحة الاسكندرية وضرب الأسطول الانجليزى لها بالقنابل ودخول الجنرال ولسلى Welseley القاهرة وفشل سياسة فرنسا فى مصر (٤) •

وتلقى مصطفى كامل دراســته الثانوية فى المدرســة الخــديوية عام ١٨٨٧ واستطاع أن ينال احترام أساتذته وزملائه له •

وقد نال مصطفى كامل الشهادة الثانوية فى صيف عام ١٨٩١ ثم تلقى دراســته العليا فى أربع كليات هى الحقوق الخــديوية والحقوق الفرنسية وحقوق باريس وحقوق تولوز •

والجدير بالذكر أن مصطفى كامل لم يترك مدرسة من المــدارس التى تلقى فيها العلم الا وكان له فيها صدام عنيف ففى ختام دراسته

---

(٤) أحمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٣٠ .

الابتدائية كان أول فرقته وجاء موعد توزيع الجوائز على الناجحين الخديو ووزير المعارف الحفل وكلف مصطفى كامل بالقاء كلمة فى هذه المناسبة نالت اعجاب الحاضرين فهنأه الخديو توفيق على فصاحته وسأله عن اسمه واسم أبيه وعن سنه وكان ضابط المدرسة يقف وراء كل تلميذ يتسلم شهادة فأخذ يشير الى مصطفى بأن يضيف كلمة عبدك قبل أن ينطق اسمه واسم أبيه ولكن مصطفى لم يقلها ولما انتهى الحفل اقترب مصطفى من الضابط وقال له : « ما كان أبى عبدا لأحد وما كنت كذلك [٥] » .

والمتفحص لهذه الرواية يجد أنه يجانبها بعض الصواب . حقيقة أن مصطفى كامل حضر الحفل وأنه كان أول فرقته وأنه ارتجل خطابا فى تحية الخديو كل هذا لا يحتمل الشك فمصطفى كامل ظهر عليه النبوغ منذ صغره ، ولكن موضوع رفض مصطفى أن يقول للخديو عبدك فاننا نرى أن لهجة هذا العصر كانت تقضى بذكر كلمات مثل عبدك وخادمك وما شابه ذلك وهذا ليس ببعيد على مصطفى كامل فالخطابات التى أرسلها مصطفى فيما بعد للخديو أو لعبد الرحيم أحمد وكيل الادارة العربية بالمعية السنية بها ما يثبت ذلك [٦] وعلى سبيل المثال ففى الخطاب رقم (١) من مجموعة الرسائل والمؤرخ فى ٨ يونيه ١٨٩٥ نجد فى نهايته « أعرضوا نص خطابى هذا على كعبة آمالى سيدى الأعلى » وفى الخطاب المؤرخ فى ٢٧ يونيه ١٨٩٥ نجد « ورضاء مولاى منتهى رغبتى فلو أمرنى أعزه الله بأن أذبح خدمة لبلادى ولشخصه الجليل ما تأخرت » وفى الخطاب المؤرخ فى ٤ أغسطس ١٨٩٥ نجد « لا تنسوا عرض كل ما أرسله اليكم ولو تعرضوا ملخصه على أنظار سمو مولاى وكعبة آمالى الذى ما دمت محل ثقته قدمت روحى ونفسى قربانا فى خدمته وخدمة بلادى » .

---

(٥) احمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٦) د. محمد أنيس : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل .

وفى نهاية السنة الأولى الدراسية التجهيزية رسب مصطفى كامل فى احدى المواد نتيجة لقرار أصدرته الوزارة برفع درجة النجاح الى ١٦ من ٢٠ وهى نسبة عالية وغير معهودة حتى فى أيامنا هذه وصادف أن كان ترتيب مصطفى كامل السابع فى فصله الذى كان يضم خمسة وستين طالبـا ، ومع ذلك لم يستطع الحصول على المتوسط المطلوب الذى لم يحصل عليه سوى تلميذين فقط ، وفكر مصطفى كامل فى أن ينقذ نفسه وزملاءه من هـذا القرار فانطلق الى نظارة المعارف ، وكان على مبارك ناظرها ، ولمـا وصل الى باب غرفته طلب مقابلته فرفض الحاجب طلبه فأفهمه مصطفى كامل أنه ابن الوزير ، فأفسح له الطريق ، ولمـا اقترب مصطفى من مكتب الوزير صاح قائلا أنا ابن الوزير فى العلم فاستقبله الوزير وسأله عن المشكلة ، فعرض عليه مصطفى القضية وشكا له حيف نظام الامتحان واقتنع الوزير بحجة الطالب وألغى القرار [٧] بعد أن أحس بعدالة الشكوى [٨] .

وهكذا كان لجرأة مصطفى كامل ورفضه للضيم أثر فى الغاء قرار وزارة المعارف .

وفى عام ١٨٩١ وبينما كان على مبارك يقوم بجولة تفتيشية على المدارس زار المدرسة الخديوية وسأل مصطفى كامل عما ينوى أن يفعله بعد تخرجه فأجابه « ان أعظم الرجال شأنا هو من يحرر بلاده وينقذ أمته من ربقة الذل والاسترقاق وأنا أطمع فى أن أكون ذلك المحرر الذى يكتب ويخطب ويجاهد فى سبيل تحرير وطنه من الذل » وقد أعجب ناظر المعارف برد مصطفى كامل ولقبـه « امرؤ القيس » ثم أخـذ يتعهده بنصائحه وكثيرا ما دعاه الى منزله وقدمه الى زواره من العلماء والساسة والصحفيين [٩] .

---

(٧) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٣٤ ــ ٣٦ .
(٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٤٨ .
(٩) أحمد رشاد : المرجع السابق .

وبعد أن حصل مصطفى كامل على شهادة الدراسة الثانوية عام ١٨٩١ عزم على أن يدخل مدرسة الحقوق لأنها كانت الوسيلة الى الهدف الذى خطه لنفسه فهى مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد والأمم » .

وبعد عام واحد من التحاق مصطفى كامل بمدرسة الحقوق التحق أيضا بمدرسة الحقوق الفرنسية ، وجمع بين المدرستين واستطاع الحصول على شهادة الحقوق من كلية تولوز فى نوفمبر ١٨٩٤ وكان عمره حوالى عشرين عاما .

تلك كانت مراحل التعليم التى مر بها مصطفى كامل ، وتلك كانت حدود ثقافته التى حصل عليها ، ولعل هذا القدر من الثقافة كان مشتركا بين مصطفى وزملائه الذين تعلموا معه فى مراحل التعليم المختلفة (١٠) ، ولكن تكوين مصطفى كامل واستعداداته العلمية والنفسية، ودراساته الخاصة وباتصاله برجال الفكر والسياسة فى ذلك الوقت كان لكل ذلك أكبر الأثر فى تكوين شخصيته ، وفى تفوقه على أقرانه كما كان لاتصال مصطفى كامل بعلى باشا مبارك ، ثم اتصاله بعبد الله النديم عقب عودته من منفاه ، وتردده على نادى الأميرة نازلى فاضل والمنتدى الذى كان يعقد فى دار لطيف باشا سليم أكبر الأثر فى تكوينه السياسى .

٢ ــ ظهور مصطفى كامل ومساعدات الخديو المالية له :

لعب المجتمع المصرى دورا رئيسيا فى تكوين مصطفى كامل ، فشخصيته تستمد مقوماتها من ظروف المجتمع فهو يمثل الجيل الجديد الذى ظهر بعد انكسار الحركة الوطنية وأحس بمرارة الهزيمة وشاهد جيوش الاحتلال تطأ أرض بلاده فحاول أن يتجاوز مظاهر الاحباط

---

(١٠) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .

والفشل التى حطمت معنويات أبناء وطنه ، فكان ظهوره بمثابة يقظة للأمة وبعثا جديد لها .

وقد تميز مصطفى كامل بحسه الثقاف والقدرة على استيعاب خبرات الماضى كما تميز بقوة الارادة والتصميم على الدفاع عن حقوق مصر والدعاية لقضيتها بالخطب والمقالات والرسائل ، فكانت وطنيته تقاوم المستحيل لدرجة أن دعوته بدت غريبة على الأذهان .

وتساءل البعض كيف تقوم حركة وطنية تنادى بالاستقلال من يد أقوى الدول نفوذا وأوسعها سلطانا (١١) .

لقد أسس مصطفى كامل وهو فى السادسة عشرة من عمره جمعية أدبية وطنية سماها جمعية الصليبية الأدبية ، وبعد أن دخل مدرسة الحقوق عمل على تأسيس جمعية احياء الوطن كما أفسح له بشارة تقلا صاحب الأهرام مكانا فى جريدته لينشر فيها مقالاته الوطنية .

والواضح أن خبرة مصطفى كامل عن أحوال مصر أيام الثورة العرابية وعند وقوع الاحتلال كانت ضعيفة خصوصا وأنه لم يكن قد بلغ الثامنة من عمره لذلك فانه حاول الاستفادة من الذين عاصروا الأحداث فما أن سمع بعودة عبد الله النديم من منفاه حتى خف للقائه ونشأ فى مدرسته (١٢) ، وعرف منه أسباب الثورة العرابية على حقيقتها كما عرف منه مواقع الخطأ التى تورط فيها العرابيون واستطاع بصحبة أستاذه الثائر التعرف على حقيقة التيار السياسى فى مصر وكيف شوه الاحتلال مبادىء الثورة العرابية وخططها ثم تعلم منه القواعد التى اذا اتبعها يكون وطنيا ناجحا وهى :

---

(١١) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية .

(١٢) تشارلز آدمز : الاسلام والتجديد فى مصر ـ ترجمة عباس محمود . القاهرة ١٩٣٥ . ص ٢١٣ .

١ ــ ألا يستعمل الجيش مطلقا فى حركته بل يعتمد على الرأى العـــام •

٢ ــ ألا يعادى الخـــديو حتى لا تنقسم الأمة كما حـــدث ببن العرابيين والخديو توفيق •

٣ ــ ألا ييأس مطلقا من طريق الكفاح •

٤ ــ ألا يطمئن الى الانجليز بل يحذر من دسائسهم •

وقد سار مصطفى كامل على هدى هذه التعليمات (١٣) ، ولمـــا قام الخديو فى نوفمبر ١٨٩٢ بزيارة للمدارس العالية استقبله طلابها وكان من بينهم مصطفى كامل الذى ألقى قصـــيدة بين يدى الخـــديو كان مطلعهـــا :

بشرى الحقوق بســـيد الأمراء
كـــنز العـــــلا ذى النعـــــماء

وقد لفتت هـــذه القصيدة أنظار الخديو وأعجبه فصاحة مصطفى كامل (١٤) •

ولمـــا حدثت الأزمة الوزارية عام ١٨٩٣ قام مصطفى كامل على رأس مظاهرة وطنية من طلبة المدارس العالية مؤيدا لموقف الخـــديو ومهاجما لجريدة المقطم لموقفها العدائى منه كما راســـل مصطفى كامل الصحف وهو طالب وأنشأ مجلة المدرسة التى ظهر العدد الأول منهـــا فى يوم السبت ١٨ فبراير ١٨٩٣ •

ويذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة أن هذه المجلة تعتبر أول مجلة مدرسية تظهر فى مصر (١٥) ولكننا نرى أن مجلة روضة المدارس التى

---

(١٣) للتفاصيل : أنظر كتابنا عبد اللـــه النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية ، ص ٢٠٠ ــ ٢٠٧ .

(14) Le Bosphore Egyptien : 28 Novembre 1892.

(١٥) أدب المقالة الصحفية فى مصر ج ٥ ، مصطفى كامل . القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٥٣ ، ص ٤٧ .

أسسها على باشا مبارك بالاشتراك مع رفاعه الطهطاوى لتكون هذه المجلة حيث أنها ظهرت فى عام ١٨٧٠ .

ولما أراد الخديو عباس الثانى احاطة عرشه بسياج من الوطنية اتصل بمصطفى كامل عن طريق حسن باشا عاصم رئيس الديوان (١٦) وقربه اليه ، وعندما عزم مصطفى كامل على اتمام دراسة الحقوق فى أوربا سافر الى تولوز بتعضيد من الخديو ثم عاد الى مصر فى ٦ ديسمبر ١٨٩٤ بعد أن حصل على شهادة الحقوق وكان يومئذ فى سن العشرين لا ليدافع عن قضايا الأفراد بل ليدافع عن حقوق أمته ، وساعده الخديو بالمال وتعاهدا سرا على العمل من أجل تخليص البلاد من الاحتلال وكانا يجتمعان بمسجد التبرى بسراى القبة (١٧) .

ويتضح تعضيد الخديو لمصطفى كامل من المراسلات التى نشرها الدكتور محمد أنيس تحت عنوان صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ، كما يتضح أن الخديو لم يكن وحده هو الذى يمد مصطفى كامل بالمال بل كانت هناك مصادر أخرى تمده به خصوصا بعد أن توقف الخديو عن مساعدة مصطفى كامل .

وعن مساعدة الخديو لمصطفى كامل بالمال يذكر محمد حسين هيكل أن الخديو هو الذى تولى الانفاق على مصطفى كامل لتعليمه فى الخارج لما توسم فيه من الذكاء والاقدام فعاونه على استكمال دراسته ، كما اصطفى كثيرين من الشبان غيره أوفدهم الى أوربا فى مهمات سياسية يؤيد بها سلطته ومركزه كحاكم مصر الشرعى (١٨) .

ويذكر محمد رشيد رضا أن « الخديو عباس هو الذى أوجد مصطفى كامل واستعمله فى الحركة الوطنية وهو تلميذ فقير .. وقد

---

(١٦) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا جـ ١ ، ص ١١١
(١٧) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ، ص ١٩٠ .
(١٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص ٤٨

جعل سمود لمصطفى أفندى [illegible] جنيه
ثم ما زال يزيده حتى بلغ مائة جنيه فى الشهر عدا ما كان يأمر به المقربين من مساعدته وفى مقدمتهم الأمير محمد ابراهيم والأميرة شويكار هانم [١٩] .

مما سبق يتضح أن الخديو أنفق على مصطفى كامل أثناء تواجده بفرنسا فى عام ١٨٩٥ [٢٠] ولكن يبدو أنه حرصا منه على السرية فقد تم الاتفاق على أن يتظاهر مصطفى كامل بأنه مرسل من قبل جمعية وطنية مصرية [٢١] .

وهنا يطرح سؤال نفسه وهو لماذا قدم الخديو يد المساعدة لمصطفى كامل ؟

الواضح أن الخديو اصطدم فى بداية عهده بالقنصل البريطانى فى سلسلة من الأحداث أهمها الأزمة الوزارية وحادث الحدود كما كان الخديو يرى أن الاحتلال لا يستند الى الشرعية وأن وضع مصر السياسى لا يزال من الناحية القانونية يستند الى معاهدة لندن ١٨٤٠ لذلك رأى الاستعانة بكل القوى الداخلية التى تمكنه من مقاومة الاحتلال ولكن تطور الأحداث ، وضغط اللورد كرومر على الخديو وتهديداته المستمرة له جعلت الخديو يتردد فى مساعدة مصطفى كامل بالمال مما دفع مصطفى كامل الى طلب المساعدة المالية من آخرين فقد أرسل مصطفى كامل من باريس خطابا الى صديقه محمد فؤاد سليم بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٨٩٥ قال فيه « انى فى ضيق نظرا لأن الخديو لم يرسل لى

---

(١٩) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ص ٥٩٣

(٢٠) عند مقارنة خطب مصطفى كامل التى نشرها أخوه فى كتابه مصطفى كامل فى ٣٤ درسا ونفس الخطب التى نشرها الرافعى فى كتابه مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية يتضح أن الرافعى قد حذف من خطب مصطفى كامل كل ما يشير الى مساعدة الخديو المالية له .

(٢١) [illegible] مخطوطات مطوية ، ص ٩

من المـــال ما يكفينى للسفر الى مصر اذ أن مقدار ما بعته لى يكفى فقط لأسدد به نفقات الفندق واننى صممت على عدم رجوعى الى مصر لأن وجودى فى فرنسا مهم جدا للقضية التى كرست لها نفسى جسدا وروحا، ولقد قررت ألا أعود الى مصر الا اذا يئست من معـــاونة الوطنيين ، وانى حاليا يائس من واحد وهو الخديو [٢٢] » .

ان هذه الوثيقة توضح أن الخديو قد كف يده عن مساعدة مصطفى كامل بالمـــال لدرجة أن مصطفى يئس من معاونته له .

كما يتضح من الرسائل التى نشرها الدكتور محمد أنيس [٢٣] أن مصطفى كامل واظب ابتداء من الرسالة الرابعة المؤرخة فى ٣٠ يوليو ١٨٩٥ [٢٤] على طلب المـــال من الخديو لشدة حاجته اليه ، مما يؤكد أن المبلغ الذى كان يدفعـــه الخـــديو لمصطفى كامل لم يكن يصـــله بسهولة .

وهنا يطرأ سؤال آخر وهو هل كانت هناك بالفعل جمعية وطنية ساعدت مصطفى كامل بالمـــال أثناء دعايته للقضية المصرية عندما توقف الخديو عن مساعدته ؟

الواقع أن مصطفى كامل أوحى بأنه موفد من قبل جمعية وطنية

---

(٢٢) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى فؤاد سليم الحجازى .. خطاب رقم ١١ ، ص ٥٨

(٢٣) هـــذه الرســـائل موجودة بدار الوثائق القومية تحت عنوان مذكرات المرحوم مصطفى كامل .

(٢٤) الرسالة الرابعة من رســـائل مصطفى كامل الى عبد الرحيم أحمد هى بترتيب الرسائل فى كتاب صفحات مطوية الخامســـة حيث أن الرسالة الثانية مرسلة من عبد الرحيم أحمد الى مصطفى كامل بينما الأولى والثالثة والرابعة والخامســـة من مصطفى كامل الى عبد الرحيم أحمـــد كما يتضح من الخطاب الأول فى مجموعة هذه الرسائل أن مصطفى كامل قد أرسل الى عبد الرحيم أحمد خطاب قبـــل ذلك ، ولكن لم يتم العثور عليها حتى الآن .

سرية حتى يبعد أنظار الانجليز عن الخديو ، وربما يكون ايحاؤه صحيحا لأن الجمعية الوطنية السرية التى تكونت من أوربيين ومصريين وسبق الاشارة اليها كان الخديو رئيسها أما عن وجود جمعية وطنية سرية كانت ترسل له الأموال للدعاية للقضية الوطنية فنحن نستبعد ذلك ورغم أن بعض خطابات مصطفى كامل الى أصدقائه تشير الى رغبة بعض الأغنياء فى مساعدته ويبدو ذلك واضحا من خطاب أرسله مصطفى كامل الى عبد الرحيم أحمد فى ٩ أغسطس ١٨٩٥ اذ يقول فيه وقد سرنى كثيرا ما قلته لى من أن بعض الناس مستعد للمساعدة المادية فيا حبذا لو قام أفراد الأغنياء بالمساعدة وخففوا عن مولانا .. ما يصرفه من المصاريف الطائلة (٢٥) » ، ورغم ذلك فان هذا لا يعنى وجود جمعية وطنية ساعدت مصطفى كامل ، وعلى كل حال فقد ابتعد الأغنياء عن مساعدة مصطفى كامل عندما رأوا أن الخديو كف يده عن مساعدته ، ويبدو ذلك واضحا من خطاب مصطفى كامل الى محمد فؤاد سليم ، اذ يقول فيه « انى حاليا يائس من واحد وهو الخديو ، ولكن أليس فى استطاعة والدك والهلباوى ومحمود سالم أن يرسلوا لى سنويا ٤٠٠ جنيه ما داموا يعتبرون أنفسهم وطنيين ويقدرون جهودى الوطنية واذا كانوا غير قادرين على مساندتى فانى سأعود الى مصر يائسا فاقد الأمل ليس فى الجلاء فحسب بل من مستقبل الأمة المصرية (٢٦) » .

ولنا أن نتساءل عن المساعدات المالية التى قدمها الخديو الى مصطفى كامل ودورها فى مساعدته على اتمام دراسته فى أوربا ؟ .

الواضح أنه لم يكن فى وسع أسرة مصطفى كامل الانفاق على تعليمه فى الخارج خصوصا وأن والده توفى فى عام ١٨٨٦ أى قبل

---

(٢٥) د. محمد أنيس : صفحات مطوية ، ص ٥٣

(٢٦) د. العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى [illegible] ، خطاب رقم ١ ، ص ٥٨

حصـــول مصطفى على الشـــهادة الابتدائيـــه التى حصل عليهـــا فى عام ١٨٨٧ .

ولكن البعض يذكر أن سخاء أحد أقارب مصطفى كامل هو الذى مكنه الى استكمال دراسته الجامعية فى فرنســـا فقد ذكر لانداو أن الدكتور عبد الفتاح فتحى الأخ غير الشقيق لمصطفى كامل هو الذى ساعده على استكمال دراسته الجامعية فى فرنسا (٢٧) .

وقد اتفق أحمد رشاد مع لانداو فى ذلك اذ يقول أنه « فى ٨ سبتمبر ١٨٩٤ توفى الدكتور عبد الفتاح فتحى أخو مصطفى كامل من أبيه من زوجته الثانية ، وعلى الرغم من مرض الطالب المصرى فقـــد عاد الى وطنه فورا عندما وافته الأخبار بهذا النبأ المفجع حيث صمم أن يترحم على قبر أخيه الأكبر الذى كان بمثابة والده واهتم بتربيته والانفـــاق عليه ، وكان مصطفى قد وعد الراحل بأن يتم علومه فى مدرسة الحقوق فى هذه السنة حتى يكرس حياته لوطنه العزيز (٢٨) » .

ومع أننا لا نستبعد فكرة مســـاعدة الدكتور عبد الفتاح فتحى أو غيره لمصطفى كامل أثناء دراسته فى الخارج فاننا نرى أن مصطفى قـــد سافر الى فرنسا بتشجيع من الخديو ، وأن الخديو هو الذى مد مصطفى كامل بالمـــال لاتمام دراسته ، وانه اذا كان البعض قد ساعد مصطفى كامل فان ذلك لا يعنى أنه تولى كل الانفـــاق عليه لأنه من الثابت أن معظم مصاريف السفر والاقامة كانت تقـــدم له عن طريق الخـــديو .

وخلاصة القول أنه اذا كان مصطفى كامل لم يتلق العون المـــادى

---

(27) Landan op. cit., p. 197.

(٢٨) أحمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٤٩

من جهة وأحمد اثناء تواجده بفرنسا [٢٩] فان الخديو كان قد تحمل القسط الأكبر من هذه النفقات .

وعلى كل حال فقد استطاع مصطفى كامل بعد عودته الى مصر واتمام دراسته فى فرنسا أن يوقظ الأمة المصرية من ثباتها فقد وهب مصطفى كامل حياته لبلاده وقرر أن يفيدها بكل لحظة من عمره فكانت كلماته جديدة على الناس فقد خاطبهم بالأسلوب الوجدانى الذى امتاز به خطباء الثورة الفرنسية واستطاع أن ينهض بأعباء دعوته مؤيدا من الخديو عباس الثانى فى بادىء الأمر ، شاعرا بقوته بعد ذلك مطاعا من أنصاره متقدما الى الأمام رافعا علم النهضة مرددا نشيد المجد والعظمة بصوت تهتز له الأفئدة وتخفق له الجوانح فلا يعرف الخطر [٣٠] .

٣ ـ الخطوط الرئيسية لسياسة مصطفى كامل تجاه الاحتلال :

استطاع مصطفى كامل أن يجمع بين القدرة على قيادة الجماهير وامكانية طرح أيديولوجية تحدد مسار القضية المصرية وهى أن لمصر عدوا واحدا هو الاحتلال ، ولمصر مطلبا واحدا هو الجلاء .

ومصطفى كامل بحكم تكوينه الفكرى والثقافى ينتمى الى الصفوة السياسية المثقفة Intellectual Political Elite وهو ما يميز زعامته للحركة الوطنية عن الزعامات المصرية السابقة كعمر مكرم

---

(٢٩) يتضح من مذكرات محمد فريد أن فريد قد امد مصطفى كامل بالمال لمساعدته على أداء مهامه الوطنية .

انظر : مذكرات محمد فريد . مظروف رقم (١) خطاب من مصطفى كامل الى محمد فريد .

(٣٠) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية . ص ٥٧

باعتباره صفوة دينية مستنيرة و أحمد عرابى باعتباره أحد الصفوات العسكرية الوطنية [٣١] .

وقد استلهم مصطفى كامل خطوط كفاحه من دراسة واقع مصر السياسى ونتيجة لذلك رأى أن تواجد قوات الاحتلال فى مصر ليس لها سند شرعى ، ولما كانت أحوال الحركة الوطنية لا تمكنه من تغيير الأمر الواقع الذى فرضه الانجليز على بلاده فقد طرق مصطفى كل باب يوصله الى المطالبة باستقلال بلاده فاعتمد على الخديو ممثل السلطة الشرعية فى البلاد كما اعتمد على الدولة العثمانية باعتبارها دولة الخلافة التى تهفو اليها قلوب المسلمين ، ثم اعتمد على تناقض مصالح الدول الأوربية وخصوصا فرنسا وبريطانيا ، وأخيرا اتجه الى الشعب وخصوصا المثقفين منهم . وفيما يلى نعرض لذلك :

١ ــ مصطفى كامل والخديو :

كان تعاون مصطفى كامل مع الخديو أمرا تقتضيه الضرورة خصوصا بعد الدرس الذى تعلمه مصطفى كامل من النديم بضرورة تجنب الخلاف مع الخديو يضاف الى ذلك أن الحركة الوطنية لم تكن تستطيع أن تقف بمفردها أمام الانجليز وأنه كان على مصطفى كامل أن يتعاون مع كل القوى الداخلية والخارجية المعارضة للاحتلال ، ومن هنا التقى بالخديو عباس الثانى حيث اتخذه وسيلة لتوحيد سياسة الأمة المصرية على مقاومة الاحتلال [٣٢] واعتبر توليته أريكة الخديوية عنوانا لحياة جديدة ومبدأ لنهضة وطنية صادقة تزداد كل يوم قوة

---

(٣١) د. عاطف فؤاد : الزعامة السياسية فى مصر ، عرض تاريخى وتحليل سوسيولوجى . القاهرة ــ دار المعارف . الطبعة الأولى ١٩٨٠، ص ١٠٥ ــ ١٠٦

(٣٢) محمد رشيد رضا : المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٩٣

ونمو[٣٣] وقد وجد الخديو عباس الثانى فى مصطفى كامل الشاب الوطنى الذى استطاع رغم حداثة سنه أن يحمل راية الجهاد فأعجب بموقفه وقال عنه فى مذكراته أنه كان أعظم وطنى فى عصره ، كما قال عنه أنه كان يفتش عن الرجال فى عهده بمصباح فلم يجد كثيرا من أمثال مصطفى كامل [٣٤] .

وقد أخذ مصطفى كامل يستنهض همم المصريين ويدعوهم الى « الاتحاد حول الأريكة الخديوية [٣٥] » كما أوضح لهم أن الخديو له السلطة الشرعية فى مصر وأنه النائب الشرعى عن السلطان وما على الأمة الا رفع شكواها اليه وعرض آرائها عليه [٣٦] وان لتعلق المصريين بالخديو معنى ساميا من الوجهة الدينية والوطنية والسياسية [٣٧] ، كما ذكرهم بأن « عرش الخديوية هو القوة الباقية من قوى الاستقلال ومحط الرجال ومصدر الحياة والآمال لهذه البلاد فى الحال والاستقبال [٣٨] » .

والجدير بالذكر أن دعوة مصطفى كامل كانت تقتصر على جلاء المحتلين ، ولم تتعرض للعلاقة بين الحاكم والمحكوم ، وظل الأمر كذلك حتى اعترت علاقته مع الخديو الفتور ثم المقاطعة بسبب عدم ثبات الخديو على خطة واحدة فاحتفظ مصطفى كامل باستقلاله عن الخديو

---

(٣٣) اللواء : العدد السادس من السنة الأولى فى ٨ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « الأمة والأمير » .

(٣٤) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى .

(٣٥) اللواء : العدد الحادى عشر من السنة الأولى فى ١٤ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « سياسة الشرف والاباء » .

(٣٦) اللواء : العدد ٢٣ من السنة الأولى فى ٢٨ يناير ١٩٠٠ تحت عنوان « واجبات الوزراء أمام الأمة والأمير » .

(٣٧) اللواء : العدد ٣١ من السنة الأولى فى ٦ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « السلطة الشرعية فى مصر » .

(٣٨) اللواء : العدد ٧٩٦ من السنة الرابعة فى ١٦ ديسمبر ١٩٠٢ تحت عنوان « الجناب العالى والمحتلون » .

خصوصا بعد أن هجر الخديو خوف الوطنيين ولجأ الى الملاينة مع سلطات الاحتلال .

٢ ــ مصطفى كامل والدولة العثمانية :

كان مصطفى كامل يقدر وضع مصر الدولى الذى تحدده معاهدة لندن ١٨٤٠ ، وهى المعاهدة التى تعترف باستقلال مصر فى ظل سيادة الدولة العثمانية كما كان يقدر حرج مركز انجلترا السياسى من الناحية القانونية لذلك رأى ضرورة توثيق الروابط الودية مع تركيا لكى يتخذ من موقفها وسيلة لمقاومة الاحتلال وحتى لا تنضم الى انجلترا فى سياستها الاستعمارية ضد مطالب المصريين يضاف الى ذلك أن مصطفى كامل كان لديه الحماس الدينى كما كانت وطنيته تمتزج بالدين ، وانه كان يعتقد أن الخلافة العثمانية من مظاهر الوحدة الاسلامية ، وأن مصر تعتبر أهم أجزاء هذه الوحدة خطرا كما أنها جزء من الدولة العثمانية من الناحية الدولية ومع ذلك فان كفة الوعى القومى رجحت عنده على كفة الوعى الاسلامى [٣٩] .

حقيقة أن مصطفى كامل كان يود أن تعود للاسلام قوته وعزته وأن ينضوى الشرق تحت لواء الدولة العثمانية باعتبارها أقوى الدول الاسلامية فى ذلك الوقت ، وأنه طلب من السلطان ارسال جيوشه الى مصر لاخراج الانجليز منها واحتلالها باعتبارها دولة عثمانية [٤٠] . كما أنه نادى بضرورة توثيق روابط الاتحاد بين مصر وتركيا لأن « أسباب مصائب مصر والاسلام هى الشقاق بين المسلمين [٤١] » ؛ ولكن هل يعنى ذلك أن مصطفى كامل كان يريد أن يحل احتلال عثمانى لمصر محل الاحتلال الانجليزى ؟

---

(٣٩) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٤١٥

(40) Bosphore Egyptien 28 August 1906.

(٤١) اللواء : العدد السادس من السنة الأولى فى ٨ يناير ١٩٠٠ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « الأمة والامير » .

الواقع أن مصطفى كامل كان يرى أنه متى تخلصت مصر من الاحتلال البريطانى فانها ستظل خاضعة من الناحية الاسمية للدولة العثمانية ، وبما أن سيادة الباب العالى قد دب فيها الضعف فان مصر تستطيع أن تتخلص بسهولة من هذه السيادة .

وتتضح حقيقة علاقة مصطفى كامل بالدولة العثمانية من خطاب أرسله الى جوليت آدم اذ يقول فيه « ان من السياسة الأهلية لمصر أن نكون مع تركيا طالما ظل الانجليز محتلين وطننا العزيز [٤٢] » .

لقد أساء البعض تصوير خطة مصطفى كامل نحو الدولة العثمانية على أنه من أنصار السيادة العثمانية وأنه كان بوقا يعمل على توطيد حركة الجامعة الاسلامية فى ظل الخلافة ، ولكننا نتفق مع الرأى الذى يقول أن الذى حال بين انجلترا واعلان حمايتها على مصر فى الفترة من ١٨٨٢ الى ١٩١٤ هو سيادة تركيا الاسمية التى تمسك بها مصطفى كامل [٤٣] وأنه لو كان مصطفى كامل قد ناهض الباب العالى لكان قد هيأ لبريطانيا الفرصة لتوطيد مركزها فى مصر واعلان حمايتها أو ضمها اليها .

حقيقة أن مصطفى كامل دافع عن فكرة الجامعة الاسلامية وصفحات اللواء تشهد على ذلك [٤٤] كما أنه حظى بتقدير السلطان له حيث منحه رتبة المتمايز (البكوية) والنيشان المجيدى عام ١٨٩٩ ثم أنعم عليه برتبة الباشوية فى مارس ١٩٠٤ فصار يعرف بمصطفى

---

(٤٢) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية . خطاب من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ١٢ يونيه ١٨٩٧ ، ص ٤٧

(٤٣) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٣٣٨

(٤٤) نشرت اللواء منذ صدورها مقالات كثيرة للدفاع عن الدولة العثمانية تحت عناوين متعددة منها « سلامة الدولة العثمانية » « قوة الخلافة الاسلامية » « عيد الخلافة والاسلام » « مصر والدولة العلية » « الخلافة والاسلام » « بقاء الدنيا موقوف على بقاء الدولة العلية » « تأثير الخلافة على المسلمين » ..

كامل باشا [٤٥] ، ولكن هل ينكر أحد أن طبع العصر كان يحتم الولاء للسلطان وطاعته ، وهل ينكر أحد أن التفرغ لخصم واحد خير من مواجهة خصمين مجتمعين . لقد عمل مصطفى كامل على تجنب الخلاف مع السلطان ، واعتبر أن ارتبـــاط مصر مع تركيا أحسن احتجاج على استمرار الاحتلال[٤٦] وقد عبر عن سياسته تجاه تركيا بقوله « لقد صرحنا بأننا نريد مصر للمصريين ، وبأن انعطافنا أو نفورنا من دولة لا يؤثر شيئا على هـــذا المبدأ الرئيسى لحياتنا وأفعالنا ولكنى أسأل ماذا يكون مصير البلاد المصرية لو تنازلت تركيا عن حقوقها لانجلترا أو تعاهدت معها على ذلك بمعاهدة شبيهة بالمعاهدة الفرنسية الانجليزية ؟ ألا تصير مصر ولاية انجليزية [٤٧] » .

وعلى كل حال فالواضح أن حياة مصطفى كامل رغم قصرها كانت مليئة بالتجارب السياسية ، وقد تعرض فيها للخطأ والصواب ومع ذلك فلا ينكر أحد أنه لم يتوخ غير مصلحة مصر ولا ينقد غيرة وحماســـة الا عليها وحدها [٤٨] .

لقد آمن مصطفى كامل فى أولى سنوات جهاده بالسيادة العثمانية على مصر ثم عدل عنها بعد أن أحس بخطئها وقد أوضح الخديو عباس الثانى ذلك بقوله « انزلق مصطفى كامل فى أثناء قيامه بدعايته الى ادراك خاطىء للوطنية المصرية ، وكان التقرب الذى ينشده مع تركيا يتخذ صورة أقرب الى التنازل منها الى الأمل ، ولكنه عندما وجد من يفهمه ذلك استبدل بسياسته التى كانت تركية الطـــابع الى حد كبير ادراكا وطنيا سليما ، وقد تطور ببراعة فائقة جعلت تلاميذه يتبعونه دون أن يفطنوا الى الخطأ الأول [٤٩] » .

---

(٤٥) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٤٣
(٤٦) نفسه : ص ٣٤٤
(٤٧) اللواء : فى ٦ أكتوبر ١٩٠٧
(٤٨) عبد اللطيف حمزة : المرجع السابق حـ ٦ ، ص ١٣
(٤٩) المصرى : مذكرات الخديو عباس الثانى فى ١٢ مايو ١٩٥١

وهكذا حاول مصطفى كامل استخدام الدعوة الى الخلافة العثمانية كسلاح لمناوأة الاحتلال البريطانى خصوصا وان احراج مركز انجلترا فى مصر من الناحية القانونية كان ورقة رابحة استغلها مصطفى كامل لاثارة الدول الأوربية على انجلترا .

٣ ـ مصطفى كامل والدولة الأوربية :

رأى مصطفى كامل أن الدعاية للقضية المصرية فى الخارج تعتبر أقوى سلاح يشهره فى وجه الاحتلال خصوصا وان المسألة المصرية كانت مجهولة لدى الرأى العام الأوربى ، بل كانت الفكرة الذائعة عن المصريين أنهم راضون عن الاحتلال (٥٠) ، وأنه « من غير اللائق بأوربا أن تجبر انجلترا على الجلاء وتحرم الأمة المصرية من فوائد الاحتلال، ويستدلون على رضاء المصريين بسكوتهم وعدم قيامهم ضد الاحتلال لا بالسيف ولا بالنيران (٥١) » .

وقد بدأ مصطفى كامل دعايته للقضية المصرية فى أوربا برحلة الى فرنسا فى مايو ١٨٩٥ وكان وقتذاك فى الحادية والعشرين من عمره فلفت الأنظار اليه ، وقد استفاد مصطفى كامل من التنافس بين انجلترا وفرنسا فى احراج مركز الاحتلال .

وقد أوضح مصطفى كامل خطوط سياسته للدعاية للقضية المصرية فى أوربا فى رسالة الى جوليت آدم بقوله « لعلك ترين أنى أجمع حول مسألتنا من العواطف ما يصل اليه جهدى فانى أنشر الحقيقة فى كل مكان وفى جميع البلاد أجعل أعداء المحتلين أكثر مما كانوا ، ان مركزنا يشبه من جميع الوجوه مركز رجل فى داره لص يسرق ويحرق ما يجده فى طريقه ويذبح كل شىء ، فواجب صاحب الدار التعس أن يصيح

---

(٥٠) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٤٩

(٥١) مذكرات محمد فريد : مظروف رقم ١ ، ص ٢ ، رسالة من مصطفى كامل الى محمد فريد .

برجال الشرطة ويستغيث بكل انسان . فنحن كذلك نستغيث بالجميع ، ولا نود أبدا أن تشترك أمة حرة من أمم أوربا او غيرها مع انجلترا ضدنا وتعمل على خسارتنا (٥٢) » .

والجدير بالذكر أن مصطفى كامل لم يقصر نشاطه السياسى والصحفى على فرنسا وحدها بل تردد على كثير من دول أوربا ولا سيما ألمانيا والنمسا والمجر .

وظل مصطفى كامل على ولائه لفرنسا يأمل منها العون حتى جاء حادث فاشوده عام ١٨٩٨ ثم الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ فاتضح له أن فرنسا لا تعمل الا ما فيه مصلحتها فقط ومنذ ذلك الحين أخذ مصطفى كامل ينتقد سياسة فرنسا ويبدو ذلك واضحا فى قوله « اننا انتقدنا السياسة الفرنسية ، وقلنا غير مرة انها لا تليق بحكومة الجمهورية ولولا هذه السياسة العرجاء لما كانت انجلترا فى مصر ولما كنا فيما نحن فيه (٥٣) » .

واذا كان البعض قد أخذ على مصطفى كامل عدم فهمه لألاعيب السياسة الأوربية فاننا نرى أنه كان لمصطفى كامل وللخديو عباس الثانى أيضا العذر فى اعتمادهما على أوربا حيث ان سياسة دولها الاستعمارية لم تكن قد استقرت بعد بل كانت المنافسات على أشدها بين هذه الدول . ولما أحس مصطفى كامل أن هدفه فى اجلاء الانجليز عن مصر لا يتحقق عن طريق أوربا أخذ فى الاعتماد على الجماهير المصرية وخصوصا الطبقة المثقفة منها .

---

(٥٢) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية رسالة من بودابست من مصطفى كامل الى جوليت آدم فى ٢٨ مارس ١٨٩٧ ، ص ٤١

(٥٣) الفرات ، ج ٥ ، سنة ١٩٠٠

٤ ــ اتجاه مصطفى كامل الى الجماهير (الطبقة المثقفة) :

بعد فشل تجربة مصطفى كامل فى الاعتماد على الخديو وفرنسا لم يجد أمامه غير الشعب المصرى ، فرأى ضرورة الاعتماد عليه لأنه صاحب الشأن الأول وينبغى أن يكون المحرك الأول للمسألة المصرية ، ولما كان تكوين الرأى العام المستنير لا يتأتى الا بتثقيف وتعليم الشعب حتى يعلو شأن المصرى ويكون كفؤا لوسائل الحياة التى هى العلم والعمل (٥٤) ، فقد تبنى مصطفى كامل انشاء المدارس وتأسست مدرسة باسمه لهذا الغرض فى عام ١٨٩٩ ، كما تأسست اللواء فى ٢ يناير ١٩٠٠ لتكون مدرسة لتعليم الشعب دروس الوطنية (٥٥) .

ولكى ينزع مصطفى كامل الخوف من قلوب مواطنيه أوضح لهم على صفحات اللواء « أن الشعب هو القوة الوحيدة الحقيقية وهو السلطان الذى يخضع لارادته أكبر العظماء وأعظم الأقوياء وأن رجال الحكومة ليسوا الا وكلاء عنه (٥٦) » .

وقد وصل مصطفى كامل الى أفئدة الشعب المصرى عن طريق الحديث عن الماضى فتغنى بمصر وأهلها فى شاعرية دفاقة مثال ذلك « اسألوا العالم يجبكم أن مصر جنة الدنيا ، وأن شعبا يسكنها ويتوارثها لأكرم الشعوب اذا أعزها ، وأكبر جناية عليها وعلى نفسه اذا تسامح فى حقها وسلم أزمتها للأجنبى » وقوله « انى لو لم أولد مصريا لوددت أن أكون مصريا » وهكذا نجح مصطفى كامل فى استمالة العواطف الكامنة فى نفوس الوطنيين من أجل خدمة قضيتهم (٥٧) .

---

(٥٤) اللواء : العدد ١٠٢٢ فى ١٠ فبراير ١٩٠٣ تحت عنوان « شوارد عن الشرق » .

(٥٥) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٥

(٥٦) اللواء : العدد ٣٥ فى ١٠ فبراير ١٩٠٠ مقال لمصطفى كامل تحت عنوان « حقوق الشعب وواجباته » .

(٥٧) د. لويس ملكه : سيكلوجية الجماعات والقيادة ــ ديناميات الجماعة ج ١ ، القاهرة ــ النهضة المصرية ١٩٦٣ ، ص ٤٤ ، ١١٤

وهكذا قام مصطفى كامل بدور الزعيم الذى يقود أمته وفقا لأفضل المصالح فما لبث الشعب أن آمن بأفكاره واعتنق مبادئه .

وقد نجح مصطفى كامل فى جذب الشباب المثقف الى حركته وساعده على ذلك قدرته على مواكبة الأحداث فكان سياسيا ثوريا ودبلوماسيا موهوبا وخطيبا مفوها وصحفيا مشهورا (٥٨) لدرجة أنه نجح فى السيطرة على طلاب المدارس العالية وغيرها فأحبوه وأطاعوا جميع أوامره وساروا على هدى توجيهاته (٥٩) .

ويرجع اهتمام مصطفى كامل بالطلبة الى أن باقى طبقات المجتمع لم تكن مؤهلة للتصدى للاحتلال فى ذلك الوقت .

وتحليلا لما سبق يتضح أن سياسة مصطفى كامل كانت تتركز على الآتى :

١ ــ محاربة الاحتلال والعمل على اجلائه والتنديد بسياسته .

٢ ــ الاستعانة بالخديو فى مقاومة الاحتلال لعدم قدرة الحركة الوطنية على الصمود أمامه وحدها فى أول الأمر .

٣ ــ الاستنجاد بدول أوربا وخصوصا فرنسا (ولكن حادث فاشودة جعل مصطفى كامل يعيد حساباته) .

٤ ــ التمسك بالتبعية الاسمية لتركيا حتى لا تقف بجانب انجلترا ضد مصر .

٥ ــ الاستفادة من كل خطأ يقع فيه المحتلون والتشهير به .

٦ ــ الاعتماد على الجماهير المصرية وبث روح الثقة فيهم .

---

(58) Safran, Nadav. Egypt in Search of Political Community. 1961. p. 85.

(59) [illegible] p. 123.

وهكذا نجح مصطفى كامل الذى لم تكن لديه وزارة أو مصلحه استعلامات ، ولم يمتلك مالا ، فى أن يقوم بحركة دعاية واسعة النطاق للقضية المصرية تعجز عن القيام بها مجموعة ضخمة من الأفراد (٦٠) ، وأن يوضح للرأى العام العالمى عدالة القضية المصرية وكراهية الشعب المصرى للاحتلال .

٥ ــ أهداف مصطفى كامل والخديو من مقاومة الاحتلال :

وضع مصطفى كامل أمامه هدفا واضحا وهو الجلاء وعدوا واحدا وهو الاحتلال أما عن المسائل الأخرى مثل الحياة النيابية وعلاقة مصر بالدولة العثمانية وغيرها فقد رأى تركها حتى يتخلص المصريون من الاحتلال أولا ، وقد أوضح الأستاذ شفيق غربال هذه الفكرة بقوله : « ان أبسط استجابة كانت استجابة مصطفى كامل نحو سياسة الاحتلال اذ تقوم على قاعدة خالية من كل تعقيد أو من كل شطارة لمصر عدو واحد هو الاحتلال ولمصر مقصد واحد هو الجلاء وما عدا ذلك فتفصيل له وقته الاصلاح الحكومى وغير الحكومى ، الحكومة النيابية ، تسوية أمر الامتيازات السيادة العثمانية كلها أشياء حقا مهمة ، وأشياء ينبغى ألا تهمل ولكنها لا ينبغى مطلقا أن تطغى على المقصد الأساسى الجلاء أو تضعف من مقاومة العدو الأصلى وهو الانجليز (٦١) » .

أما عن مصدر العقيدة عند مصطفى كامل فهو حب الوطن حبا خالصا لا يشوبه التفكير فى انتفاع أو فى مصلحة فكانت حملته تستخدم ثلاث وسائل هى :

(١) ألا يأس مطلقا ، ألا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز وكلام مأجوريهم بأن مركزهم فى مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع .

---

(٦٠) المصور : فى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٤

(٦١) محمد شفيق غربال : المرجع السابق جـ ١ ، ص ٣٧

(م ١٠ ــ الخديو عباس الثانى)

(٢) لا تثقوا مطلقا بوعودهم ولا تركنوا الى محاولتهم تبسيط مركز البلاد الدولى ، بل تذرعوا بتلك العناصر الدولية والعثمانية التى يكرهها الانجليز ، ويكفى كرههم لها لتمسككم بها .

(٣) لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطن خيرا لكم أو لبعضكم فهو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعل من بعضكم أعداء البعض الآخر [٦٢] .

وقد سلك مصطفى كامل أسلوب التفاهم مع الخديو فى كفاحه ضد الانجليز ، وكان من مظاهر ذلك الاحتفال بعيد الجلوس الخديوى فى ٨ يناير ١٨٩٣ ، ومع ذلك فقد كانت الخديوية فى نظر مصطفى كامل أداة من أدوات الكفاح لا غاية ، وقد أشار الى ذلك رشيد رضا بقوله : « أخبرنى رفيق بك العظم ، وكان من أصدقاء مصطفى كامل ومحمد بك فريد الركن الأعظم له وللحزب الوطنى بعد تأسيسه أنهما يتخذان الخديو وسيلة لتوحيد سياسة الأمة المصرية على مقاومة الاحتلال فان ظفرت البلاد بجلاء الجيش الانجليزى عنها فان الحزب الوطنى يؤسس لها حكومة لا يكون للخديو ولا لأمثاله أدنى حظ منها [٦٣] » .

ومما لا شك فيه أن مصطفى كامل وجد فى تحالفه مع الخديو سندا قويا له وخصوصا وان الحركة الوطنية كانت أضعف من أن تقف بمفردها ومع ذلك فان مصطفى كامل لم يكن راضيا عن بعض مواقف الخديو أو الحكومة ويوضح ذلك مذكرات محمد فريد اذ تؤكد أن مصطفى كامل كان يعتبر الحكومة خائنة للشعب وأسيرة للانجليز ، ولكنه لم يستطع الافصاح عن ذلك فى بداية كفاحه [٦٤] .

---

(٦٢) نفسه .

(٦٣) تاريخ الأستاذ الامام جـ ١ ، ص ٥٩٣ — ٥٩٤

(٦٤) خطابات محمد فريد : مظروف ١ ، خطاب رقم ١ من مصطفى كامل الى محمد فريد ، فينا فى ٢١ أكتوبر ١٨٩٧

وعلى كل حال فان دعوة الجلاء التى نادى بها مصطفى كامل لم تكن أمرا ميسورا فى الوقت الذى ظهر فيه ، ولكن الزعيم المؤمن برسالته استطاع اقناع الرأى العام الأوربى بعدالة قضية بلاده .

أهداف الخديو عباس الثانى من مقاومة الاحتلال :

لقد ساير الخديو عباس الثانى الحركة الوطنية حينا وتراجع عنها أحيانا حين تعارضت مصالحه معها ، وبتحليل موقف الخديو يتضح أنه لم يكن راغبا فى مقاومة المعتمد البريطانى الى درجة التفكير فى تصفية الوجود الانجليزى من مصر نهائيا بل كانت معارضته المترددة تستهدف المشاركة فى السلطة فى ظل الاحتلال ومما يوضح ذلك تعديل سياسته تجاه الاحتلال وتخليه عن الحركة الوطنية عندما لمح له الانجليز بارجاع سلطاته فى ظل سياسة الوفاق لذلك فأنه يمكن القول بأن موقف الخديو من الاحتلال كان ينصب على الهجوم على سياسة كرومر وليس على الاحتلال من أساسه ، كما كان تعاطف الخديو نحو الحركة الوطنية أسلوبا من أساليب الضغط على سياسة كرومر (٦٥) .

لقد اتخذ الخديو من الحركة الوطنية ورقة يستطيع أن يساوم بها الانجليز حتى يسترد ما فقده من سلطة لدرجة أنه نفى عن نفسه تهمة العمل ضد الاحتلال فى حديث له مع المستر دايسى Dicey والذى صرح فيه بأن المعتمد البريطانى لا يستطيع وحده أن يحكم مصر ، وأنه مستعد للتعاون معه ، وأن الاحتلال البريطانى أفضل من أى احتلال آخر .

هذا هو ما يفرق بين مصطفى كامل والخديو ، فبينما كان مصطفى كامل يتحالف مع كل القوى المعادية للاحتلال بهدف اجلاء الانجليز عن مصر ، كان الخديو يهدف الى الضغط على الحكومة البريطانية حتى تمكنه من استرداد سلطاته التى سلبها منه المعتمد البريطانى كرومر .

---

(٦٥) د. محمد أنيس : صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل : ص ١٣

٥ ـ نشاط مصطفى كامل فى أوربا وعلاقته بجوليت آدم :

استغل مصطفى كامل الصفة الدولية للمسألة المصرية ورأى ضرورة استغلال العناصر الدولية الكارهة للاحتلال وفى مقدمتها فرنسا لصالح قضية بلاده فزاد نشاطه فى أوربا وذكر أنه موفد من قبل الحزب الوطنى المصرى [٦٦] ، وأثناء عودته من فرنسا الى مصر بعد اتمام دراسته فى الحقوق تصادف أن تقابل مع الكولونيل « بارنج » شقيق اللورد كرومر على ظهر الباخرة التى أقلته عند عودته الى مصر فى ٢٨ يناير ١٨٩٥ ، وقد انتهز مصطفى هذه المقابلة ليرفع صوته بالدفاع عن قضية استقلال مصر [٦٧] فتناقش مع بارنج فى المسألة المصرية موضحا تنكر انجلترا لوعودها بالجلاء وكان رد بارنج أنه يرى ضرورة بقاء الاحتلال ثم تطرق الموضوع عن الحديث عن جدوى مساعدة أوربا لمصر [٦٨] وقد أثار هذا الحديث ضجة كبيرة بعد أن نشرته الأهرام تحت عنوان : « حديث له شأن [٦٩] » فهاجمته المقطم واعتبرته مجرد حديث وهمى [٧٠] فكان رد مصطفى كامل على ذلك بأن من لم يصدق الحديث عليه أن يسأل الكولونيل « بارنج » نفسه [٧١] .

وقد سار مصطفى كامل فى جهاده بالدعاية للقضية المصرية فى أوربا كما حرص على دعوة كبار الساسة الأوربيين لزيارة مصر ، وقد قبل هذه الدعوة الصحفى دلونكل عضو مجلس النواب الفرنسى وحضر الى مصر فى ٢١ مارس ١٨٩٥ [٧٢] للاطلاع على أحوالها السياسية فاستقبله

---

(٦٦) محمد حسين هيكل : شعصيات مصرية وغربية ، ص ٥٢

(٦٧) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٤٧

(٦٨) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٥٤ ـ ٥٧

(٦٩) الأهرام : فى ٢٨ يناير ١٨٩٥

(٧٠) المقطم : فى ٢٨ يناير ١٨٩٥ تحت عنوان « حديث وهمى » .

(٧١) الأهرام : فى ٤ فبراير ١٨٩٥

(٧٢) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ٥١

ـ اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية ج ٥ ، ص ٧٦

مصطفى كامل وعديد من الوطنيين فى مظاهرة وطنية كما صحبه فى تنقلاته وقدمه الى اخوانه ومعارفه من الوطنيين (٧٣) .

وظل دلونكل بمصر حوالى عشرين يوما التقى خلالها بالخديو ، وتم الاتفاق بينهما على أن يسافر مصطفى كامل الى باريس للدعاية للقضية المصرية على أن يقدم له دلونكل كل التسهيلات اللازمة (٧٤) .

ولقد كان على مصطفى كامل أن يتعاون مع دلونكل فى باريس ولكن هذا التعاون لم يستمر طويلا حيث تبين أن دلونكل لا يرضى عن وجود شاب مصرى يعمل من أجل قضية بلاده فيحجبه عن الموقف لذلك أخذ فى مضايقة مصطفى كامل واثارة المتاعب أمامه فى فرنسا وفى أوساط السراى فى مصر (٧٥) .

ولما رأى مصطفى كامل أن دلونكل يتخذ من القضية المصرية سبيلا للشهرة ولاحراز مكاسب شخصية أخذ يبحث عن عضد آخر يقف بجانبه فى فرنسا فانفتح على المجتمعات السياسية والأدبية فى فرنسا فوجد منها الكراهية الشديدة لاحتلال انجلترا لمصر (٧٦) .

وفى ٥ يونيه ١٨٩٥ قدم مصطفى كامل الى سكرتارية مجلس النواب الفرنسى لوحة تحمل عبارة « نداء الى فرنسا محررة الشعوب لانقاذ الشعب المصرى (٧٧) » وهذه اللوحة تمثل فرنسا وهى واقفة فى قوس نصر يجرى النيل من تحته وتقف بجانبها أمريكا وبلجيكا وايطاليا

---

(٧٣) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٤٩

(٧٤) عصام ضياء الدين : الحزب الوطنى والنضال السرى . رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ١٤

(٧٥) د. محمد أنيس : صفحات مطوية ، ص ١٧

(76) Landau : op. cit., p. 108.

(٧٧) قام بتصميم هذه اللوحة « مسيو فليبويونو » أستاذ الرسم الفرنسى .
أحمد شفيق : أعمالى بعد مذكراتى . ص ٣٤٢

صربيا ؛ وفى أسفل اللوحة صوره تمثل مصر وهى مقيده بأغلال الانجليز ، وقد تقدم جماعة من المصريين الى فرنسا يستنجدونها لفك قيد وطنهم [٧٨] ونقش على اللوحة بالعربية والفرنسية هذه الأبيات :

أفرنسا يا من رفعت البلايا
عن شعوب تهزها ذكراك

انصرى مصر أن مصر بسوء
واحفظى النيل من مهاوى الهلاك

وانثرى فى الورى الحقائق حتى
تجتلى الخير أمة تهواك

وبعد أن قدم مصطفى كامل اللوحة الى مجلس النواب الفرنسى طبع منها ستة آلاف نسخة [٧٩] وزع بعضها على صحف وكتاب وسياسى العالم .

وترجع أهمية هذا العمل الى أنه لفت الأنظار الى المسألة المصرية [٨٠] وأحدث ضجة كبيرة فى الصحف فقد نشرت شركة هافاس تفصيل اللوحة كما نشرت الجرائد الفرنسية الخبر مما أحدث تأثيرا كبيرا بين الفرنسيين الذين اعتبروا هذا العمل استنجادا بفرنسا لابد أن تنهض له . يضاف الى ذلك أن الجرائد الانجليزية علقت على هذا الموضوع مما زاد هذا العمل أهمية وجعل تأثيره شاملا [٨١] .

---

(٧٨) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ، ص ٥٢

(٧٩) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن جـ ٢ ، ص ٢٠٠

(٨٠) محمد حسين هيكل : المرجع السابق ، ص ٥٢ — ٥٣

(٨١) د. محمد أنيس : صفحات مطوية ، رسالة من مصطفى كامل الى عبد الرحيم أحمد فى ٨ يونيو ١٨٩٥

والجدير بالذكر أن نشاط مصطفى كامل فى أوربا لم يقتصر على فرنسا وحدها بل امتد الى النمسا فذهب مصطفى الى عاصمتها فينا كما سافر الى برلين وبودابست واتصل بكبار السياسيين والصحفيين وكسب بعض الأنصار لقضية بلاده (٨٢) .

وفى ١٤ أغسطس ١٨٩٥ نشر مصطفى كامل أولى رسائله السياسية بالفرنسية تحت عنوان (أخطار الاحتلال البريطانى) أوضح فيها للعالم الأوربى أن الاحتلال لم يكن خطـــرا على حقوق مصر فحسب بل على المصالح الأوربية عامة كما تضمنت هذه الرسالة شرحا وافيا للمســألة المصرية ، وقد أرسل مصطفى كامل نسخا من هــذه الرسالة الى رجال السياسة والصحف الشهيرة بأوربا (٨٣) وبذلك استطاع أن يوضح لقراء الصحف الأوربية حقيقة المسألة المصرية ووقائعها وأساليب ساسة انجلترا فى حكم مصر .

ونتيجة للقطيعة التى حدثت بين مصطفى كامل والمســيو دلونكل اتصل الزعيم الشاب بالسيدة الفرنسية جوليت آدم Juliette Adam صاحبة المجلة الشهيرة لانوفيل ريفو La Nouvelle Revue وكان تعرف مصطفى كامل بها حدثا هاما فى حياته السياسية لأنهــا كانت من أبرز شخصيات فرنسا فى عالم الوطنية والسياسة والأدب (٨٤) ، وقد اطلع مصطفى كامل على مجلتها ، ووقف على مثلها العليا التى تحرك قلمهــا كما أراد أن ترشده بنصائحها بعد أن وجد فيها أما روحية (٨٥) فأرسل لها خطابا أوضح فيه حبه لوطنه وآماله الكبار فى نهضة بلاده فقــال : « انى لا أزال صغيرا ولكن لى آمالا كبارا ، فانى أريد أن أوقظ فى مصر

---

(٨٢) الرافعى : مصطفى كامل ، ص ٧٢

(٨٣) ترجمت جريدة المؤيد هذه الرسالة ونشرتها فى عددها الصادر بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٨٩٥

(٨٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٥٨

(٨٥) احمد رشاد : مصطفى كامل حياته وكفاحه ، ص ٧١

الهرمة مصر الفتاة .. هم يقولون أن وطني لا وجود له . أما انا فأقول يا سيدتي أنه موجود ، وأشعر بوجوده بما آنس له في نفسي من الحب الشديد الذي سوف يتغلب على كل حب سواه وسأجود في سبيله بجميع قواي وأفديه بشبابي ، وأجعل حياتي وقفا عليه (٨٦) » ثم طلب منها المعونة لما تتميز به من الوطنية والدفاع عن الحق فقال : « وقد قيل لي أكثر من مرة أني أحاول محالا ، وحقيقة تصبو نفسي الى هذا المحال ، فأعينيني يا سيدتي فانك من الوطنية بمكان يفردك بمزية تقدير قولي ، وتقوية عزمي ومساعدتي (٨٧) » .

وقد ردت جوليت آدم على خطاب مصطفى كامل برسالة أوضحت فيها استعدادها لمعونته ، كما فتحت له أبواب مجلتها لكي ينشر فيها مقالاته كما فتحت له أيضا أبواب الصحافة الفرنسية وعرفته بكبار الرجال في فرنسا ، كما رتبت له مقابلة مع المسيو دلكاسيه وزير الخارجية الفرنسية عرض فيها مصطفى كامل تطورات القضية المصرية منتقدا سياسة فرنسا في مصر (٨٨) .

وقد تتبعت جوليت آدم أحوال القضية المصرية وكانت بالنسبة لمصطفى كامل بمثابة الأم ، وكان مصطفى كامل لا يقدم على الأمور الهامة في أغلب الأحيان الا بعد استشارتها ويتضح ذلك من خطاباته التي كان يرسلها لها « انك الوحيدة التي تستطيعين أن تقولي لي اذا كنت في الطريق السوي أم لا » .

« ان جراحاتي الوطنية تسيل منها الدماء بغزارة ، واني في حاجة

---

(٨٦) علي فهمي كامل : رسائل مصرية فرنسية ، ص ٣ — ٧ رسالة من مصطفى كامل الى جوليت آدم بتاريخ ١٢ سبتمبر ١٨٩٥ .

(٨٧) جوليت آدم : انجلترا في مصر ، ص ٢٢٣ .

(٨٨) مذكرات محمد فريد : مظروف رقم ١ خطاب من مصطفى كامل الى محمد فريد في ١٠ أغسطس ١٨٩٨ .

فى وجودى بجانب القلب الذى يحبنى ويفهمنى ويمدنى بحنينه » ، « انى سأظل مدى الحياة أوفى أولادك وأكثرهم ولاء لك » . « وعندما نشبط همتى أبعث بروحى لترتوى من منهل الأمومة الذى كثيرا ما شد أزرى [٨٩] » .

ونتيجة لتوثق صلة مصطفى كامل بجوليت آدم ازداد نشاطه فى أوربا حتى وصل الى انجلترا نفسها فقد أرسل مصطفى كامل الى المستر جلادستون رئيس الوزراء الانجليزى الأسبق بعدة رسائل يبسط فيها أمانى مصر الوطنية التى تنحصر فى جلاء الانجليز عنها [٩٠] كما عمل على تشكيل كتلة من دول أوربا وبالذات من فرنسا وألمانيا وروسيا لمناصرة القضية المصرية ، وحداه الأمل فى اجلاء الانجليز عن مصر فى مدة لا تزيد عن عام ونصف [٩١] .

وقد ظلت جوليت آدم تتبع نشاط مصطفى كامل ، وظل مصطفى كامل يحيطها بما يجول فى نفسه ويزف اليها أخباره فعندما عزم على تأسيس اللواء أرسل لها ببلغها بذلك فردت عليه مشجعة ومهنئة [٩٢] .

وعندما وقع حادث فاشودة لم يتردد مصطفى كامل فى انتقاد سياسة فرنسا والاعراب عن أسفه لموقفها غير المشرف فأرسل الى جوليت آدم يقول : « أنت الوحيدة التى تمثلين أمام عينى فرنسا القديمة ، فرنسا الهمة والاقدام ! ان السياسة الأوربية تبغض الى بكل جوارحى المدنية الحديثة ، ولكن السياسة الفرنسية تعكس أمرى وتجعلنى

---

(٨٩) انظر : رسائل مصرية فرنسية ..

(٩٠) عن هذه الرسائل ورد جلادستون عنها .
انظر : الرافعى ـ مصطفى كامل ، ص ٦٤ ـ ٦٨

(٩١) مذكرات مصطفى كامل : خطابات من رقم ١ الى رقم ٤ من ٨ يونيو الى ٦ يوليو ١٨٩٥

(٩٢) على مهمى جامل : المرجع السابق ، ص ٥٦ ـ ٦١

ذاهـلا أمام التناقض الغريب المستطير فى تاريخها عجبـا ! أنسيت فرنسا فاشودة ؟ [٩٣] » .

ولكى يوطد مصطفى كامل علاقة الود بينه وبين جوليت آدم دعاها الى زيارة مصر فلبت الدعوة وجاءت اليها فى ١٩ يناير ١٩٠٤ فاستقبلها مصطفى كامل وزملاؤه الوطنيون استقبالا حافلا ، وقد لبثت جوليت آدم بمصر نحو ثلاثة أشهر [٩٤] شهدت خلالهـا عدة مآدب [٩٥] كما أنهـا حضرت حفل توزيع الجوائز على الطلبة المتفوقين فى مدرسـة مصطفى كامل يوم ١٩ فبراير ١٩٠٤ [٩٦] ، وفى مساء ٢٤ فبراير أولم الخـديو عباس الثانى وليمة عشاء فاخرة فى قصر القبة تكريما لجوليت آدم[٩٧] .

وقد غادرت جوليت آدم مصر بعد أن شـاهدت الحركة الوطنية التى بعثها مصطفى كامل وما أن وصلت الى بلادها حتى نشرت مقالين عن رحلتها لمصر فى مجلتها « لانوفيل ريفو » الأول تحت عنوان « مصر الفتية » والآخر تحت عنوان « فرنسـا ومصر » انتقدت فيه تخـاذل سياسة فرنسا تجاه مصر كما أوضحت « أن كل الاصلاحات التى تمت بمصر وضع أساسها الفرنسيون ثم ادعاها الانجليز لأنفسهم » .

وقد ترجم مصطفى كامل المقالين فى اللواء ، مما أثار حفيظة اللورد كرومـر الذى اعتبر استقبال الخـديو لجوليت آدم عمـلا عدائيـا للانجليز [٩٨] فأرسل الى حكومته التى طلبت منه أن يخبر الخديو بأن يبتعد عن كل ما يؤدى الى الاعتقاد بأنه موجه ضد بريطانيا فكان رد

---

(٩٣) على فهمى كامل : ص ٦٩ خطـاب ارسله مصطفى كامل من بودابست الى مدام جوليت آدم فى ٢٨ يونيو ١٩٠٠

(٩٤) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ٢٦

(٩٥) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، المجلد الثانى ، ص ٣٩

(٩٦) الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٦٨

(٩٧) نفسـه .

(٩٨) على فهمى كامل : المرجع السابق ، ص ١٢٥ ـ ١٣٥

الخديو أنه يعرف جوليت آدم منذ سنوات وأنها استضافته أثناء زيارته لفرنسا وكان من الواجب رد هذه الزيارة بدعوتها الى مأدبة عشاء خالية من أى مغزى سياسى •

ورغم تخلى فرنسا عن مصر وعقدها الاتفـــاق الودى مع انجلترا عام ١٩٠٤ فان علاقة مصطفى كامل بجوليت آدم كانت فوق مستوى الأحداث • حقيقة أنه عبر لها عن استيائه واستياء المصريين من الاتفاق بقوله : « ان مواطنى يكرهون اليوم فرنسا أكثر من انجلترا نفسها[٩٩] » ولكنه ظل على اتصال بها يخبرها بما حققه لوطنه ، وما تعانيه بلاده من آلام ، كمـــا كان يوضح لها ظروفه الصحية ، وقـــد ظل على ذلك حتى وافته المنية •

ومما سبق يتضح أن مصطفى كامل قام بالدعاية لقضية مصر فى الخارج مستهدفا ما يلى :

١ ــ توضيح القضية المصرية أمام الرأى العام الأوربى واظهار رغبة المصريين فى اجلاء الانجليز عن مصر •

٢ ــ كسب أصدقاء جدد للقضية المصرية فى أوربا •

---

(٩٩) على فهمى كامل : المرجع السابق ص ١٣٥ ، خطاب بتـــاريخ ١٠ مايو ١٩٠٤